

وإنه ليصعب حصر القصاص اليوم في مصر والبلاد العربية فضلاً عن حصر قصصهم الطويلة وأقاصيصهم القصيرة. ولم تكن الفصحى تعرف فن المسرحية، وعلى شاكلة القصة عني أدباؤنا أولاً بتمصير بعض المسرحيات الغربية، ثم عنوا بترجماتها الدقيقة، ولم يلبث أن ظهر للفصحى كتاب مسرحيون عديدون، وإنهم ليعدون الآن بالعشرات في مصر والأقطار العربية. وفي كل هؤلاء الأدباء من المسرحيين والقصاص وأصحاب المقالات وآثارهم تُكتَبُ بحوث طوال.

وإذا كان العباسيون - من قبل - شعروا بأنهم في حاجة إلى أسلوب مولّد يرتفع عن الابتذال ويهبط عن الإغراب الشديد، أسلوب وسط يقترب من أفهام عامة المثقفين دون ركاكة أو إسفاف فإن الأدباء النابهين شعروا في عمق منذ أواسط القرن الماضي بأن ما انتهى إليه أسلوب الفصحى حينئذ من الجمود والضيق والتقيّد بأغلال السجع والبديع يحول بينهم وبين ما يريدون أداءه. وكانوا قد عرفوا للفصحى أسلوباً متحرراً من هذه القيود عند ابن المقفع وأضرابه، فعمدوا إلى محاكاته، ولم يكتفوا بذلك، بل أخذوا يحاولون النفوذ إلى أسلوب أكثر سهولة ويسراً، وتضافرت عوامل مختلفة على شيوع هذا الأسلوب الجديد بسبب انتشار التعليم واستخدام المطابع وذيوع الصحف، فكثرت القراءة، وكثر التبسيط والتيسير في أسلوب الفصحى بين المترجمين والكتاب المختلفين. وكلما أمضت الفصحى المعاصرة شوطاً من الزمن اتسع فيها هذا التيسير والتبسيط.

ودور الصحافة في هذه الفصحى المعاصرة أوسع وأكبر شأنًا من دور الكتب المترجمة والمؤلفة، ومعروف أن الصحافة أخذت تنشط منذ عصر الخديو إسماعيل، ولم تكن تتجه مثل أصحاب الكتب إلى الجماهير المثقفة فحسب، بل كانت تتجه إلى جميع الطبقات في الأمة، وكانت عنايتها شديدة بالطبقات الشعبية الدنيا، إذ كانت تريد أن تحظى بأكبر جمهور قارئ وأن تقدم إليه ما يُغريه على الإقبال عليها والمتاع بها، ولذلك كان الكاتب في أي صحيفة يحاول جاهداً أن يبسط لغته، حتى يدنو من العامة، وحتى لا يكون بينه وبينها أي حجاب في الخطاب، لا في الأفكار ولا في الألفاظ، فالأفكار مهما كانت عميقة أو دقيقة